Mesopotamian journal of Quran studies
Vol.2023, **pp**. 18–23
DOI: https://doi.org/10.58496/MJQS/2023/003; ISSN: xxxx
https://mesopotamian.press/journals/index.php/MJQS

The stance of the disbelievers on the Day of Resurrection through Surah Al-Ahzab (64-68): An Analytical Study

موقف الكافرين يوم القيامة من خلال سورة الأحزاب (٦٤ – ٦٨) : دراسة تحليلية

Mohammed Hatem Jasim[1,*], Ahmed Shakir Mahmoud [1]
[1] *Imam Alaadhm university college*

محمد حاتم جاسم [١،*]، **احمد شاكر محمود** [١]
[١] كلية الامام الأعظم الجامعة

ABSTRACT
This article explores the interpretation of Surah Al-Ahzab in the Holy Quran, shedding light on its content and the lessons to be gleaned from it. It discusses the social, legal, and rhetorical aspects conveyed in its verses, offering insights into the societal and legal implications. Additionally, it delves into the lessons that can be derived from the punishment mentioned in the surah and the disbelievers' plea for reprieve. The analysis provided reflects profound meanings and valuable lessons that can be derived from pondering over Surah Al-Ahzab.

الخلاصة
يستعرض هذا المقال تفسير سورة الأحزاب في القرآن الكريم، حيث يسلط الضوء على مضمون السورة والعبر والدروس التي يمكن استخلاصها منها. يناقش المقال الجوانب الاجتماعية والشرعية والمعاني البلاغية التي تحملها الآيات وتعكسها هذه السورة. كما يتناول المقال الدروس التي يمكن اكتسابها من العذاب الذي ورد في السورة وطلب الكافرين للتشفي منه. يعكس التحليل المقدم معاني عميقة ودروساً قيمة يمكن استفادتها من تدبر سورة الأحزاب.

Keywords
الكلمات المفتاحية
التفسير التحليلي , التفسير الموضوعي , سورة الأحزاب، الكفار، يوم القيامة
analytical interpretation, objective interpretation, Surat al-Ahzab, the infidels, the Day of Resurrection

Received	Accepted	Published online
استلام البحث	**قبول النشر**	**النشر الالكتروني**
5/1/2023	7/3/2023	1/4/2023

١. مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه وبعد:
فإن علوم القرآن الكريم هي أشرف العلوم؛ إذ هي مرتبطة بأقدس كتاب ألا وهو كتاب الله المجيد، وإن علم التفسير هو من أهم علوم القرآن الكريم، وتفسير القرآن الكريم له أشكال عديدة وأقسام متنوعة، منها التحليلي، والموضوعي، والإشاري، والفقهي، والأثري... وإن هذه الأنواع وُجدت منذ الأيام الأولى لظهور علم التفسير، إلا أنها لم تتبلور ولم تتحدد ملامحها إلا في العصور المتأخرة، حيث قسم العلماءُ التفسيرَ وبيّنوا مناهج المفسرين فيه، وإن علم التفسير التحليلي

*Corresponding author mjh8536522@gmail.com
CC BY

والموضوعي من أهم هذه الأقسام وأشهرها؛ إذ أن كثيرا من المفسرين - القدماء والمتأخرين - اعتبروه منهجا لهم في تفاسيرهم كالزمخشري والرازي، والآلوسي والزحيلي وغيرهم.
وإني قد اخترت هذه اللون من التفسير كمنهج لكتابة بحثي هذا، واخترت عنوان (موقف الكافرين يوم القيامة من خلال سورة الأحزاب – دراسة تحليلية موضوعية) فقمت بجمع المادة العلمية للآيات القرآنية الكريمة، ثم عمدت إلى خطوات التفسير التحليلي فكان منهجي في البحث هو الآتي:
١. بدأت البحث، بمبحث بين يدي السورة الكريمة.
٢. قمت بتفسير المفردات اللغوية الغريبة في الآيات الكريمة، بالاعتماد على كتب اللغة وبعض التفاسير.
٣. قمت بإعراب ما أشكل من الكلمات، أو ما كان له تأثير في معنى الآية الكريمة.
٤. أوردت الأوجه البلاغية في الآية الكريمة، بالاعتماد على كتب التفسير التي تشير إلى هذا الفن.
٥. ثم أوردت المناسبة العامة للآيات الكريمة اعتمادا على كتب المناسبة المتوفرة، وأشهرها كتاب الإمام البقاعي.
٦. أوردت ما ظفرت به من أسباب النزول الخاصة بالآيات الكريمة
٧. أما فيما يخص المعنى العام للآيات الكريمة، فقد اعتمدت على أمهات كتب التفسير.
٨. وأخيرا أوردت الأحكام المستفادة من الآية الكريمة، وقد اعتمدت فيها على ما أورده وهبة الزحيلي في (التفسير المنير) إذ أنه أوجزها بطريقة جميلة مختصرة غير مخلة.
هذا، وإني لا أدعي لنفسي الكمال، فالكمال لله وحده، فأسأله تعالى أن ينفع به المسلمين، والحمد لله أولا وآخرا.

المبحث الأول
بين يدي السورة
المطلب الأول: تسميتها ومكية أم مدنية
سورة الأحزاب مدنية، وهي ثلاث وسبعون آية.(١)
وسميت سورة الأحزاب لاشتمال الكلام فيها على وقعة الخندق أو الأحزاب الذين تجمعوا حول المدينة، من مشركي قريش وغطفان، بالتواطؤ مع المنافقين ويهود بني قريظة، لحرب المسلمين ومحاولة استئصالهم، كما سميت (الفاضحة) لأنها افتضحت المنافقين، وأبانت شدة إيذائهم لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم في أزواجه وتألبهم عليه في تلك الموقعة.(٢)

المطلب الثاني: مناسبتها لما قبلها
افتتحها سبحانه بأمر نبيه باتقائه ونهيه عن الصغو إلى الكافرين والمنافقين، واتباعه ما يوحى الله إليه تنزيها لقدره عن محنة من سبق له الامتحان ممن قدم ذكره في سورة السجدة، وأمرا له بالتسليم لخالقه والتوكل عليه "والله يقول الحق وهو يهدي السبيل " ولما تحصل من السورتين قبل (ما يَعقب العالِمَ من الخوف أشده لغيبة العلم بالخواتم، وما جرى في السورتين من الإشارة إلى السوابق "وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا" كان ذلك مظنة لتيئيس نبي الله - صلى الله عليه وسلم - وصالحي أتباعه، فلهذا أعقب سورة السجدة بهذه السورة المضمنة من التأنيس والبشارة ما يجرى على المعهود من لطفه تعالى وسعة رحمته، فافتتح سبحانه السورة بخطاب نبيه بالتقوى وإعلامه بما قد أعطاه قبل من سلوك سبيل النجاة، وإن ورد على طريقة الأمر ليشعره باستقامة سبيله وإيضاح دليله، وخاطبه بلفظ النبوة لأنه أمر ورد عقب تخويف وإنذار بيان كان عليه السلام قد نَزه الله قدره عن أن يكون منه خلاف التقوى وعصمه من كل ما ينافر نزاهة حاله وعَلي منصبه ولكن طريقة خطابه تعالى للعباد أنه تعالى متى جرد ذكرهم للمدح من غير أمر ولا نهي فهو موضع ذكرهم بالأخص إلا مدحٌ من محمود صفاتهم ومنه: "مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ..... الآية " فذكره باسم الرسالة، ومهما كان الأمر أو النهى عدل في الغالب إلى الأعم ومنه "يا أيها النبي اتق الله " "يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال " "يا أيها النبي إذا طلقتم النساء" "يا أيها النبي لِم تحرم ما أحل الله لك " "يا أيها النبيء إذا جاءك المؤمنات ".(٣)

المطلب الثالث: موضوعاتها
الأمر بالتقوى، وأنه ليس فى صدر واحد قلبان وأن المتبنى ليس بمنزلة الابن، وأن النبي- صلى الله عليه وسلم- للمؤمنين بمكانة الوالد، وأزواجه الطاهرات بمكان الأمهات، وأخذ الميثاق على الأنبياء، والسؤال عن صدق الصادقين، وذكر حرب الأحزاب والشكاية من المنافقين وذم المعرضين، ووفاء الرجال بالعهد، ورد الكفار بغيظهم، وتخبر أمهات المؤمنين، ووعظهن ونصحهن وبيان شرف أهل البيت الطاهرين، ووعد المسلمين والمسلمات بالأجور الوافرة، وحديث تزويج زيد وزينب ورفع الحرج عن النبي- صلّى الله عليه وسلّم-، وختم الأنبياء به- عليه السّلام- والأمر بالذكر الكثير، والصلوات والتسليمات على المؤمنين، والمخاطبات الشريفة لسيدنا المصطفى- صلى الله عليه وسلّم- وبيان النكاح والطلاق والعدة، وخصائص النبي- صلّى الله عليه وسلّم- فى باب النكاح، وتخييره فى القسم بين الأزواج، والحجر عليه فى تبديلهن، ونهى الصحابة عن دخول حجرة النبي- صلّى الله عليه وسلّم- بغير إذن منه، وضرب الحجاب، ونهى المؤمنين عن تزوج أزواجه من بعده، والموافقة مع الملائكة فى الصلاة على النبي- صلّى الله عليه وسلّم- وتهديد المؤذين للنبي وللمؤمنين، وتعليم آداب النساء فى خروجهن من البيوت، وتهديد المنافقين فى إيقاع الأراجيف، وذل الكفار فى النار والنهى عن إيذاء الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- والأمر بالقول السديد، وبيان عرض الأمانة على السموات والأرض، وعذاب المنافقين، وتوبة المؤمنين فى قوله: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ ... » الآية ٧٢ إلى آخر السورة.(٤)

المطلب الرابع: مشتملاتها
اشتملت هذه السورة على بعض الآداب الاجتماعية، والأحكام التشريعية وأخبار في السيرة عن غزوتي الأحزاب وبني قريظة وعن المنافقين. أما الآداب الاجتماعية: فأهمها آداب الدعوة إلى الولائم، والحجاب وعدم التبرج، وتعظيم النبي صلّى الله عليه وسلّم في بيته ومع الناس، والقول السديد. وأما الأحكام الشرعية فكثيرة: منها الأمر بتقوى الله وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، ووجوب اتباع الوحي، وحكم الظهار، وإبطال عادة التبني وعادة التوريث بالحلف أو الهجرة، وجعل الرحم والقرابة أساس الميراث، وتعداد المحارم وعدد زوجات النبي صلّى الله عليه وسلّم، والصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم، وفرض الحجاب الشرعي وتطهير المجتمع من مظاهر التبرج الجاهلية، وعدم إلزام المطلقة قبل الدخول بالعدة، وتخيير نساء النبي صلّى الله عليه وسلّم بين الفراق والبقاء معه،

(١) جامع البيان للطبري: ١٩/ ٥ ، الكشف والبيان: ٧/ ٣٢٢ ، الهداية إلى بلوغ النهاية: ٩/ ٥٧٧٩ ، التفسير البسيط: ٢٤/ ٢٢٣.
(٢) التفسير المنير للزحيلي: ٢١/ ٢٢٥.
(٣) البرهان في تناسب سور القرآن: ٢٨٠.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٤٦٧.

وتخصيص زوجاته بمضاعفة الأجر والثواب عند الطاعة، ومضاعفة العذاب عند المعصية، وتحريم إيذاء الله والرسول صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين، وخطورة أمانة التكليف، وعقاب المسيء وإثابة المحسن. وأما أخبار السيرة: ففي السورة بيان توضيحي عن (غزوة الأحزاب) أو (غزوة الخندق) وغزوة بني قريظة، ونقضهم العهد مع النبي صلّى الله عليه وسلّم، وكشف فضائح المنافقين والتحذير من مكائدهم، وتهديدهم مع المرجفين في المدينة على جرائمهم بالطرد والتعذيب، وتذكير المؤمنين بنعم الله العظمى التي أنعم بها عليهم في وقعة الخندق بعد اشتداد الخطب عليهم، ورد كيد أعدائهم بالملائكة والريح، حتى صار ذلك معجزة خارقة للعادة، وبيان قصة زيد بن حارثة مولى النبي صلّى الله عليه وسلّم، وزينب بنت جحش زوج النبي صلّى الله عليه وسلّم.(٥)

المبحث الثاني

تحليل الآيات

إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً (٦٤) خالِدِينَ فِيها أَبَداً لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يا لَيْتَنا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا (٦٦) وَقالُوا رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَكُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا (٦٧) رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً (٦٨)

المطلب الأول: المفردات اللغوية

لعن: اللَّعْنُ: الطَّرد والإبعاد على سبيل السّخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدّنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره. قال تعالى: أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ.(٦)

سعيرا: أي إيقادا. والسّعير أيضا: اسم من أسماء جهنّم، السّعير: فعيل بمعنى مفعول، تقول: سعرت النار، إذا ألهبتها.(٧)

تقلب وجوههم: تَقْلِيبُ الشيء: تغييره من حال إلى حال.(٨)

ضعفين: يُجعل الواحدُ ثلاثةً لا اثنين.(٩) وكأنه أراد: يُضَاعف لها العذابُ، فيجعل ضعفَيْن، أي مثلَيْن، كلُّ واحد منهما ضعفُ الآخر. وضعفُ الشيء: مِثْلُه.(١٠)

المطلب الثاني: الأوجه الإعرابية

قوله عز وجل: {خَالِدِينَ} حال من الضمير في {لَهُمْ}. {أَبَدًا} ظرف زمان. {يَوْمَ تُقَلَّبُ} يجوز أن يكون ظرفًا لقوله: {لَا يَجِدُونَ}، أو لقوله: {وَلَا نَصِيرًا} أو لقوله: {يَقُولُونَ}. وأن يكون منصوبًا بإضمار اذكر، فيكون مفعولًا به، و {لَا يَجِدُونَ} حال بعد حال، أو من المنوي في خالدين، وكذا {يَقُولُونَ} إذا لم تجعل {يَوْمَ} ظرفًا له، وذوو الحال (الوجوه) إذ المراد أصحابها، ولك أن تجعل {يَجِدُونَ} مستأنفًا.(١١)

(يوم) ظرف زمان منصوب متعلّق ب (يقولون) الآتي، (وجوههم) نائب الفاعل مرفوع (في النار) متعلّق ب (تقلّب) «٢» ، (يا) حرف تنبيه، والألف في (الرسولا) زائدة للفاصلة. وجملة: «تقلّب ... » في محلّ جرّ مضاف إليه. وجملة: «يقولون ... » في محلّ نصب حال من فاعل يجدون. أو هي حال من الضمير في (وجوههم) إذا علّق الظرف (يوم) ب (يجدون) أو ب (نصيرا) .. هذا ويجوز قطعها على الاستئناف. وجملة: «ليتنا أطعنا ... » في محلّ نصب مقول القول. وجملة: «أطعنا الله ... » في محلّ رفع خبر ليتنا. وجملة: «أطعنا الرسولا..» في محلّ رفع معطوفة على جملة أطعنا الله.(١٢)

(وَقالُوا رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَكُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا) كلام مستأنف مسوق لامتهاد العذر لأنفسهم ولك أن تعطفه على يقولون على طريق العدول عن المضارع الى الماضي للدلالة على أن قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب من الاعتذار غير الوارد وغير المقبول. وربنا منادى مضاف وإن واسمها وجملة أطعنا سادتنا وكبراءنا خبرها، فأضلونا عطف على أطعنا وأضلونا فعل ماض وفاعل ومفعول به أول والسبيلا مفعول به ثان يقال ضل السبيل وأضله إياه وزيادة الألف لإطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والاشارة الى أن الكلام قد انقطع وأن وما بعده مستأنف. (رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً) آتهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به أول وضعفين مفعول به ثان ومن العذاب صفة لضعفين والعنهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به ولعنا مفعول مطلق وكبيرا نعت للعنا.(١٣)

المطلب الثالث: الأوجه البلاغية

١- يَقُولُونَ: يا لَيْتَنا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا تحسر وتفجع من طريق التمني.

٢- سَعِيراً نَصِيراً كَبِيراً فيها ما يسمى بمراعاة الفواصل، لما فيها من وقع حسن.(١٤)

المطلب الرابع: المناسبة:

لما كان من فوائد العلم بوقت الشيء التحرز عنه أو مدافعته، قال مشيراً إلى شدة خفائها بإخفائها عن أكمل خلقه مرجياً تقريبها تهديداً لهم: {وما يدريك} أي أيّ شيء يعلمك بوقتها؟ ثم استأنف قوله: {لعل الساعة} أي التي لا ساعة في الحقيقة غيرها لما لها من العجائب {تكون} أي توجد وتحدث على وجه مهول عجيب {قريباً} أي في زمن قريب، ويجوز أن يكون التذكير لأجل الوقت لأن السؤال عنها إنما هو سؤال عن تعيين وقتها... ثم استأنف الإخبار بحال السائلين عنها بقوله مؤكداً في مقابلة إنكار الكفار أن يكون في حالهم شي من نقص: {إن الله} أي الملك الأعظم الذي لا أعظم منه {لعن} أي أبعد إبعاداً عظيماً عن رحمته {الكافرين} أي الساترين لما من شأنه أن يظهر مما دلت عليه العقول السليمة من أمرها سواء كانوا مشاققين أو منافقين {وأعد لهم} أي أوجد وهيأ من الآن لتكذيبهم بها وبغيرها مما أوضح لهم أدلته {سعيراً *} أي ناراً شديدة الاضطرام والتوقد.(١٥)

المطلب الخامس: القراءات القرآنية

---

(٥) التفسير المنير للزحيلي: ٢١/ ٢٢٦.
(٦) المفردات في غريب القرآن: ٧٤١.
(٧) التبيان في غريب القرآن: ١٣٦.
(٨) المفردات في غريب القرآن: ٦٨٢.
(٩) ينظر: جامع البيان للطبري ١٠١/٢١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧٤/١٤-١٧٥، والبحر المحيط ٢٢٨/٧، ولسان العرب ١٠٨/١١-١٠٩.
(١٠) غريب القرآن لابن قتيبة: ٣٥٠.
(١١) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٥/ ٢٧١.
(١٢) الجدول في إعراب القرآن: ٢٢/ ١٩٤.
(١٣) إعراب القرآن وبيانه: ٨/ ٥٣.
(١٤) صفوة التفاسير: ٢/ ٤٩٧.
(١٥) نظم الدرر: ١٥/ ٤١٧.

قرأ عيسى بن عمر الكوفي: "يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهَهُمْ"، نصب. قال أبو الفتح: الفاعل في "تُقَلِّبُ" ضمير السعير المقدم الذكر في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} ، ثم قال: "يَوْمَ تُقَلَّبُ"، أي: تُقَلِّبُ السعيرُ وجوههم في النار، فنسب الفعل إلى النار، وإن كان المُقَلِّبُ هو الله سبحانه، بدلالة قراءة أبي حيوة: "يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهَهُمْ"، لأنه إذا كان التقليب فيها جاز أن ينسب الفعل إليها للملابسة التي بينهما، كما قال الله: {بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} فنسب المكر إليهما لوقوعه فيهما.(١٦)

قرأ ابن عامر والحضرمي (إِنَّا أَطَعْنَا سَادَاتِنَا) بألف بعد الدال، وكسر التاء. وقرأ الباقون (سَادَتَنَا) بلا ألف مع فتح التاء. قال أبو منصور: يقال: سيد، وسادة، للجمع، ثم سادات جمع الجمع. والتاء مكسورة في (سَادَاتِنَا) ؛ لأنها تاء الجميع في موضع النصب،(١٧) وأما تاء (سادة) فهي في الأصل هاء، كهاء (فَعْلَة) ولذلك لم يُكْسَر.(١٨)

وقوله جلَّ وعزَّ: (لَعْنًا كَثِيرًا) قرأ عاصم وحده (لعنًا كبيرًا) بالباء. وقرأ الباقون (كَثِيرًا) بالثاء. قال أبو منصور: معنى الكبير والكثير متقارب، والثاء أكثر - واللَّهُ أعلم.(١٩)

المطلب السادس: المعنى العام

ذكر الله تعالى نوع جزاء الكفار الذي ينتظرهم يوم القيامة، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكافِرِينَ، وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً﴾ أي إن الله تعالى طرد الكافرين وأبعدهم عن رحمته، وهيأ لهم في الآخرة نارا شديدة الاستعار والاتقاد. ﴿خالِدِينَ فِيها أَبَداً، لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً﴾ أي إنهم في ذلك العذاب في نار جهنم مخلدون ماكثون فيه على الدوام، ولا أمل لهم في النجاة منه، فلا يجدون من يواليهم ويكون لهم مغيثا ومعينا ينقذهم مما هم فيه، ولا من ينصرهم ويخلصهم منه. والمقصود أنه لا شفيع لهم يدفع عنهم العذاب. وقوله ﴿خالدين فِيهَا أَبَداً﴾ هذا يرد مذهب الجهمية لأنهم يزعمون أن الجنة والنار تفنيان ولا وقف على سَعِيراً لأن قوله خالدين فِيهَا حال عن الضمير في لَهُمْ ﴿لاَّ يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً﴾ ناصراً يمنعهم.(٢٠)

ولما بين أنه لا شفيع لهم يدفع عنهم العذاب بين أن بعض أعضائهم أيضا لا يدفع العذاب عن البعض بخلاف عذاب الدنيا فإن الإنسان يدفع عن وجهه الضربة اتقاء بيده فإن من يقصد رأسه ووجهه تجده يجعل يده جنة أو يطأطئ رأسه كي لا يصيب وجهه، وفي الآخرة تقلب وجوههم في النار فما ظنك بسائر أعضائهم التي تجعل جنة للوجه ووقاية له يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا فيتحسرون ويندمون حيث لا تغنيهم الندامة والحسرة، لحصول علمهم بأن الخلاص ليس إلا للمطيع. ثم يقولون: إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا يعني بدل طاعة الله تعالى أطعنا السادة وبدل طاعة الرسول أطعنا الكبراء وتركنا طاعة سيد السادات وأكبر الأكابر/ فبدلنا الخير بالشر، فلا جرم فاتنا خير الجنان وأوتينا شر النيران، ثم إنهم يطلبون بعض التشفي بتعذيب المضلين ويقولون: ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا أي بسبب ضلالهم وإضلالهم وفي قوله تعالى: ضعفين (من العذاب) والعنهم لعنا كبيرا معنى لطيف وهو أن الدعاء لا يكون إلا عند عدم حصول الأمر المدعو به والعذاب كان حاصلا لهم واللعن كذلك فطلبوا ما ليس بحاصل وهو زيادة العذاب بقولهم: ضعفين وزيادة اللعن بقولهم: لعنا كبيرا.(٢١)

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ: يا لَيْتَنا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ أي إنهم يسحبون في النار على وجوههم، وتلوى وجوههم على جهنم، ويتقلبون فيها من جهة إلى أخرى كاللحم يشوى في النار، وحينئذ يقولون ويتمنون: يا ليتنا لو كنا في الدار الدنيا ممن أطاعوا الله وأطاعوا الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وآمنوا بما جاء به، لينجوا من العذاب كما نجا المؤمنون، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ: يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾(٢٢) وقال أيضا مخبرا عنهم: ﴿رُبَما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ﴾.(٢٣)

ثم اعتذروا بالتقليد، فقال الله تعالى واصفا ذلك: ﴿وَقالُوا: رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَكُبَراءَنا، فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ أي وقال الكافرون حينئذ وهم في عذاب جهنم: يا ربنا إنا أطعنا في الشرك والكفر رؤساءنا وقادتنا وعلماءنا، وخالفنا الرسل، واعتقدنا أنهم محقون فيما يقولون، فأخطأوا بنا سواء الطريق، وأضلونا عن طريق الهدى بما زينوا لنا من الكفر بالله ورسوله، وعدم الإقرار بالوحدانية، وإخلاص الطاعة لله تعالى. فلما علموا أنهم هم وكبراءهم مستحقون للعقاب، أرادوا أن يشتفوا ممن أضلوهم، فقالوا: {رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا} فيقول الله لكل ضعف، فكلكم اشتركتم في الكفر والمعاصي، فتشتركون في العقاب، وإن تفاوت عذاب بعضكم على بعض بحسب تفاوت الجرم.(٢٤)

ثم صوّر تعالى ما يغلي في نفوسهم من الحقد الذي أدى بهم إلى طلب التشفي من القادة والأمراء والأشراف فقال: ﴿رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾ أي يا ربنا عذّبهم مثل عذابنا مرتين: عذاب الكفر، وعذاب الإضلال والإغواء إيانا، وأبعدهم عن رحمتك بعدا عظيما كثيرا شديد الموقع، وهذا بمعنى الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو أن أبا بكر قال: يا رسول الله، علّمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: «قل: اللهم، إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم» يروى «كبيرا» و «كثيرا» وهما بمعنى واحد، واستحب بعضهم أن يجمع الداعي بين اللفظين في دعائه، قال ابن كثير: وفي ذلك نظر، بل الأولى أن يقول هذا تارة، وهذا تارة، كما أن القارئ مخير بين القراءتين، أيتهما قرأ أحسن، وليس له الجمع بينهما.(٢٥)

المطلب السابع: ما يستفاد من الآيات الكريمة

أرشدت الآيات إلى ما يأتي:

١- لما توعد الله المؤذين لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالعذاب، سألوا عن الساعة، استبعادا وتكذيبا، موهمين أنها لا تكون، فأجابهم الله بأن علمها عند الله، وليس في إخفائها عن رسوله صلّى الله عليه وسلّم ما يبطل نبوته، فليس من شرط النبي أن يعلم الغيب بغير تعليم من الله عز وجل.

---

(١٦) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ٢/ ١٨٤.
(١٧) معاني القراءات للأزهري: ٢/ ٢٨٦.
(١٨) الحجة في القراءات السبع: ٢٩١.
(١٩) معاني القراءات للأزهري: ٢/ ٢٨٦.
(٢٠) مدارك التنزيل للنسفي: ٣/ ٤٧.
(٢١) التفسير الكبير للرازي: ٢٥/ ١٨٦.
(٢٢) سورة الفرقان ٢٧.
(٢٣) سورة الحجر ٢.
(٢٤) تيسير الكريم الرحمن: ٦٧٢.
(٢٥) تفسير ابن كثير: ٣/ ٥١٩.

٢- إن وقت حصول الساعة (القيامة) في زمان قريب، وقد أخفي وقت الساعة ليكون العبد مستعدا لها. وهذا إشارة إلى التخويف.
٣- إن الله عاقب الكافرين بالطرد والإبعاد من رحمته، وبإعداد نار جهنم المستعرة الشديدة الاتقاد، وهم فيها خالدون ماكثون على الدوام، ولا شفيع لهم ينجيهم من عذاب الله والخلود فيه، ويتقلبون في السعير ذات اليمين وذات الشمال كما يشوى اللحم في النار. وهذا يدل على أنهم ملعونون في الدنيا، وملعونون عند الله، وأن العذاب دائم مستمر لا أمل في الخروج منه. (٢٦)
٤- يتمنى الكافرون في أثناء العذاب في نار جهنم أن لو كانوا أطاعوا الله وأطاعوا رسوله، فآمنوا بالله وحده لا شريك له، وآمنوا برسوله صلّى الله عليه وسلّم خاتم النبيين، وأدوا فروض الطاعة والولاء، وأخلصوا لله في أعمالهم.
٥- إنهم يقولون أيضا على سبيل الأسف والاعتذار غير المفيد: إنا أطعنا القادة والأمراء والأشراف والعلماء بدل طاعة الله تعالى، فبدّلنا الخير بالشر، وأضلونا عن السبيل الصحيح وهو توحيد الله تعالى.
٦- لا يجدون بدا من المطالبة على سبيل التشفي والانتقام بمضاعفة العذاب على أولئك المضللين: عذاب الكفر وعذاب الإضلال، أي عذبهم مثلي ما تعذّبنا فإنهم ضلّوا وأضلوا.
بل إنهم يطلبون أيضا إبعادهم وطردهم من رحمة الله إبعادا كبيرا كثيرا لأن ما كبر كان كثيرا عظيم المقدار. وهذا في كلا الطلبين يتضمن معنى جديدا، فإنهم طلبوا لهم ما ليس بحاصل وهو زيادة العذاب بقولهم: ضِعْفَيْنِ وزيادة اللعن بقولهم: لَعْناً كَبِيراً. (٢٧)

الخاتمة

علوم القرآن الكريم هي أشرف العلوم؛ إذ هي مرتبطة بأقدس كتاب ألا وهو كتاب الله المجيد، وإن علم التفسير هو من أهم علوم القرآن الكريم. تفسير القرآن الكريم له أشكال عديدة وأقسام متنوعة، منها التحليلي، والموضوعي، والإشاري، والفقهي، والأثري. علم التفسير التحليلي من أهم هذه الأقسام وأشهرها. سميت سورة الأحزاب لاشتمال الكلام فيها على وقعة الخندق أو الأحزاب الذين تجمعوا حول المدينة، من مشركي قريش وغطفان، بالتواطؤ مع المنافقين ويهود بني قريظة، لحرب المسلمين ومحاولة استئصالهم. سميت (الفاضحة) لأنها افتضحت المنافقين، وأبانت شدة إيذائهم لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم في أزواجه وتألبهم عليه في تلك الموقعة. اشتملت هذه السورة على بعض الآداب الاجتماعية، والأحكام التشريعية وأخبار في السيرة عن غزوتي الأحزاب وبني قريظة وعن المنافقين. أما الآداب الاجتماعية: فأهمها آداب الدعوة إلى الولائم، والحجاب وعدم التبرج، وتعظيم النبي صلّى الله عليه وسلّم في بيته ومع الناس، والقول السديد. وأما الأحكام الشرعية فكثيرة: منها الأمر بتقوى الله وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، ووجوب اتباع الوحي، وحكم الظهار، وإبطال عادة التبني وعادة التوريث بالحلف أو الهجرة.

المصادر والمراجع

١. إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ) دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت) الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ
٢. البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمد النجولي الجمل
٣. البرهان فى تناسب سور القرآن: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ) تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م
٤. التبيان في تفسير غريب القرآن: أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (المتوفى: ٨١٥هـ) تحقيق: د ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط١ ، ١٤٢٣ هـ
٥. التَّفْسِيرُ البَسِيْط: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١ ، ١٤٣٠ هـ
٦. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط١ ، ١٤١٩ هـ
٧. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى
٨. التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي، ط١ ، دار الفكر، دمشق، ١٩٩١م.
٩. تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ) تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت، ط١ ، ١٤٢٣ هـ
١٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١ ، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م
١١. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
١٢. الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب – القاهرة
١٣. الجدول في إعراب القرآن الكريم: محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ
١٤. الحجة في القراءات السبع: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ) تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، دار الشروق – بيروت، ط٤ ، ١٤٠١ هـ
١٥. صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م
١٦. غريب القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

(٢٦) التفسير المنير للزحيلي: ٢٢/ ١١٩.
(٢٧) التفسير المنير للزحيلي: ٢٢/ ١١٩.

١٧. الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: المنتجب الهمذاني (المتوفى: ٦٤٣ هـ) حقق نصوصه وخرجه وعلق عليه: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، ط١ ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

١٨. الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١ ، ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م

١٩. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) دار صادر – بيروت، ط٣ ، ١٤١٤ هـ

٢٠. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م

٢١. مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

٢٢. معاني القراءات للأزهري: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط١ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م

٢٣. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط١ ، ١٤١٢ هـ

٢٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي.

٢٥. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط١ ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

References

[1] "The Syntax of the Qur'an and its Explanation" by Muhyi al-Din ibn Ahmad Mustafa Darwish (died: 1403 AH), published by Dar al-Irshad for Academic Affairs - Homs, Syria, (Dar al-Yamama - Damascus - Beirut), Fourth Edition, 1415 AH.

[2] "Al-Bahr al-Muhit fi al-Tafsir" by Muhammad ibn Yusuf, known as Abu Hayyan al-Andalusi, published by Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Lebanon/Beirut - 1422 AH - 2001 CE, First Edition, Edited by Sheikh Adel Ahmed Abdul Mawjood and Sheikh Ali Muhammad Muawwad, with contributions from 1) Dr. Zakaria Abdul Majeed al-Nuqai, 2) Dr. Ahmed al-Najouli al-Jamal.

[3] "Al-Burhan fi Tanasub Surat al-Quran" by Ahmad ibn Ibrahim ibn al-Zubayr al-Thaqafi al-Gharnati, Abu Ja'far (died: 708 AH), Edited by Muhammad Sha'bani, Ministry of Endowments and Islamic Affairs - Morocco, 1410 AH - 1990 CE.

[4] "Al-Tibyan fi Tafsir Ghareeb al-Quran" by Ahmad ibn Muhammad ibn Imad al-Din ibn Ali, Abu al-Abbas, Shihab al-Din, Ibn al-Hayyim (died: 815 AH), Edited by Dr. Dahi Abdul Baqi Muhammad, Dar al-Gharb al-Islami - Beirut, First Edition, 1423 AH.

[5] "Al-Tafsir al-Basit" by Abu al-Hasan Ali ibn Ahmad al-Wahidi al-Naysaburi, Shafi'i (died: 468 AH), Edited as part of 15 doctoral theses at Imam Muhammad ibn Saud University, then compiled and coordinated by a scholarly committee at the university, Scientific Research Deanship - Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, First Edition, 1430 AH.

[6] "Tafsir al-Quran al-Azim (Ibn Kathir)" by Abu al-Fida Ismail ibn Umar ibn Kathir al-Qurashi al-Basri then al-Dimashqi (died: 774 AH), Edited by Muhammad Husayn Shams al-Din, published by Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Muhammad Ali Baydoun Publications – Beirut, First Edition, 1419 AH.

[7] "Al-Tafsir al-Kabir or Mafatih al-Ghayb" by Fakhr al-Din Muhammad ibn Umar al-Tamimi al-Razi al-Shafi'i, Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, 1421 AH - 2000 CE, First Edition.

[8] "Al-Tafsir al-Muneer" by Dr. Wahba al-Zuhayli, First Edition, Dar al-Fikr, Damascus, 1991 CE.

[9] "Tafsir Muqatil ibn Sulayman" by Abu al-Hasan Muqatil ibn Sulayman ibn Bashir al-Azdi al-Balkhi (died: 150 AH), Edited by Abdullah Mahmoud Shihatah, Dar Ihya al-Turath – Beirut, First Edition, 1423 AH.

[10] "Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan" by Abdul Rahman ibn Nasser ibn Abdullah al-Saadi (died: 1376 AH), Edited by Abdul Rahman bin Ma'alla al-Luwaieq, Al-Risalah Establishment, First Edition, 1420 AH - 2000 CE.

[11] "Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Quran" by Muhammad ibn Jarir ibn Yazid ibn Kathir ibn Ghalib al-Amuli, Abu Ja'far al-Tabari (died: 310 AH), Edited by Ahmed Muhammad Shakir, Al-Risalah Establishment, First Edition, 1420 AH - 2000 CE.

[12] "Al-Jami' li Ahkam al-Quran" by Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad al-Ansari al-Qurtubi, Dar al-Sha'b – Cairo.

[13] "Al-Jadwal fi I'rab al-Quran al-Kareem" by Mahmoud ibn Abdul Rahim Safi (died: 1376 AH), Dar al-Rashid, Damascus - Foundation of Faith, Beirut, Fourth Edition, 1418 AH.

[14] "Al-Hujjah fi al-Qira'at al-Sab'ah" by al-Husayn ibn Ahmad ibn Khalawayh, Abu Abdullah (died: 370 AH), Edited by Dr. Abdul Aal Salem Makram, Assistant Professor at the Faculty of Arts - Kuwait University, Dar al-Shorouk – Beirut, Fourth Edition, 1401 AH.

[15] "Safwat al-Tafasir" by Muhammad Ali al-Sabouni, Dar al-Sabouni for Printing, Publishing, and Distribution – Cairo, First Edition, 1417 AH - 1997 CE.

[16] "Ghareeb al-Quran" by Abu Muhammad Abdullah ibn Muslim ibn Qutaybah al-Dinawari (died: 276 AH), Edited by Ahmed Saqr, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1398 AH - 1978 CE.

[17] "Al-Kutub al-Farid fi I'rab al-Quran al-Majeed" by al-Muntajab al-Hamdani (died: 643 AH), Edited, checked, and commented on by Muhammad Nazam al-Din al-Fattah, Dar al-Zaman for Publishing and Distribution – Medina, First Edition, 1427 AH - 2006 CE.

[18] "Al-Kashf wal Bayan 'an Tafsir al-Quran" by Ahmad ibn Muhammad ibn Ibrahim al-Tha'alibi, Abu Ishaq (died: 427 AH), Edited by Imam Abu Muhammad ibn Ashur, reviewed and supervised by Professor Nazir al-Sa'adi, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut, First Edition, 1422 AH - 2002 CE.

[19] "Lisan al-Arab" by Muhammad ibn Mukarram ibn Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari al-Ruwafi al-Ifrqi (died: 711 AH), Dar Sader – Beirut, Third Edition, 1414 AH.

[20] "Al-Muhtasib fi I'rab al-Quran al-Kareem" by Abu al-Fath Uthman ibn Jinni al-Mawsili (died: 392 AH), Ministry of Endowments - Supreme Council for Islamic Affairs, 142